- آل روســـو -
وصفحات مطوية
من تاريخ المخطوطات العربية

أ.د. محمد خير البقاعي

تقول العرب في أمثالها: «أذكرتني الطعن وقد كنت ناسيا»[١]؛ وأجدني اليوم أردد هذا المثل بصدد كتاب من الكتب الجادة التي نشرها المركز الثقافي العربي الذي يضطلع أصحابه بدور تنويري في الثقافة العربية من خلال الكتب التي ينشرونها في مختلف نواحي الثقافة[٢]؛

---

(١) أول من قال ذلك رُهْم بن حَزْن الهلالي (أو ابن حرب) وكان انتقل بأهله وماله من بلده يريد بلداً آخر، فاعترضه قوم من بني تَغلب فعرفوه وهو لا يعرفهم، فقالوا له: خلِّ ما معك وانجُ. قال لهم: دونكم المال ولا تعرضوا للحُرَم. فقال بعضهم: إن أردت أن تفعل ذلك فألق رمحك. فقال: وإن معي لرمحاً؟ فشدَّ عليهم. فجعل يقتل واحداً واحداً وهو يرتجز:

ردوا على أقربها الأقاصيا

إن لها بالمشرفي حاديا

ذكَّرتني الطعن وقد كنت ناسيا

انظر **معجم الأمثال** الصادر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٣ مجلدات. (حرف الهمزة).

(٢) وأقول هذا أيضاً بخصوص ما جاء في بحث نشرته مجلة «التراث العربي» الغرَّاء في العدد ٩٧، س٢٤، آذار ٢٠٠٥/صفر ١٤٢٥هـ بعنوان (صور من العلاقات المتبادلة بين أوروبا وشمال بلاد الشام) للأستاذ محمد قجة الذي ذكر عدداً من الكتابات التي تتحدث عن التواصل الحضاري والثقافي بين أوروبا وبلاد الشام. تلك الكتابات التي تمثل، كما يقول، وجهة النظر الأوروبية. وذكر بينها: دي كورانسيز (الصواب: دو كورانسيه) الفرنسي الذي كان قنصل فرنسا في حلب ١٨٠٢-١٨٠٨م الذي أكد نظافة المدينة ودورها التجاري. ثم ذكر الأستاذ قجة: جان باتيست الفرنسي ١٨٠٨م/١٢٢٣هـ، وكان في حملة بونابرت. وكان والده تاجر مجوهرات يقيم في حلب. وقد وصف المدينة وما حولها.

إنه كتاب **الاستشراق الروسي، مدخل إلى تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا** لمؤلفه الدكتور **عبد الرحيم العطاوي المنشور عام ٢٠٠٢م (٤٢٥ صفحة)**. وهو من الكتب القليلة التي عرضت لمدرسة الاستشراق الروسي بتفصيل استوعب كثيراً من التفاصيل التي لا نجدها مجموعة ومحللة في أي مكان آخر. وقد أنهيت قراءة الكتاب من زمن ووضعت إشارات على بعض الأمور التي كنت أرجو أن يتاح لي الوقت للرجوع إليها، وكان من بين تلك المعلومات حديث المؤلف عن المستشرقين الروسيين العظيمين «أغناتي كراتشكوفسكيخ» و«فاسيلي بارتولد». وفي سياق الحديث عن الأول عادت بي الذكريات إلى كتاب «**البديع**» لابن المعتز والنشرة التي حققها هذا المستشرق العظيم، ناهيك عن دراسته عن «البديع العربي» في مقدمته، وإلى كتابه «**تاريخ الأدب الجغرافي العربي**» الذي أبدع صلاح الدين عثمان في ترجمته، وإلى غير ذلك من مما اكتشفه هذا المستشرق من روائع الأدب العربي ونذكر على سبيل المثال لا الحصر اكتشافه كتاب مخطوطة كتاب «**المنازل والديار**» للأمير أسامة بن منقذ، وقد سماه الدكتور العطاوي بحق «شيخ الاستعراب الروسي».

لقد احتوى كتاب العطاوي على كم هائل من المعلومات التي تغني قارئ كتابه، وقد بدا لي أن أصحح بعض ما ورد في هذا الكتاب لتكتمل صورة المشروع العلمي الذي يرسمه.

أولى الملاحظات على كتاب الدكتور العطاوي اضطرابه في توثيق ترجمة كتاب كراتشكوفسكي (مع المخطوطات العربية، صفحات من الذكريات عن الكتب والنشر)؛ إذ يقول في الحاشية رقم (١٤) من الصفحة (٣٣٤): (كراتشكوفسكي، مع المخطوطات العربية، صفحات من الذكريات عن الكتب والناس، دار التقدم «progress»، موسكو ، دون ذكر سنة النشر ولا اسم المترجم إلى اللغة العربية)، وهو يعيد هذا التوثيق في ثبت مصادره ومراجعه، ونجده في الحاشية (١٧) من الصفحة (١٥٦) من كتابه يوثق تاريخ الطبع بعام (١٩٦٣م) ويقول: (لا ذكر لمترجم الكتاب). وفي الحاشية (٧) من الصفحة (١٥٣) يورد تاريخ الطبع (١٩٦٣) تتلوه إشارة استفهام (؟)، وهو في أماكن كثيرة من كتابه يكتفي بالقول: (الترجمة العربية) مع إيراد أرقام الصفحات (انظر على سبيل المثال الصفحات: ١٥٥، ١٥٦، ١٧١ ...الخ)، وحقيقة الأمر في ذلك كله كانت ستتضح للدكتور العطاوي لو أنه اطلع على الطبعة الثانية لهذا الكتاب الصادرة في عام ١٩٦٩م عن دار النهضة العربية في القاهرة بترجمة الدكتور محمد منير مرسي المدرس بكلية التربية جامعة عين شمس. بعنوان: «مع المخطوطات العربية، صفحات من الذكريات عن الكتب والبشر». ولو عاد إلى هذه الطبعة

وما ذكره الأستاذ قجة معلومات مجتزأة فيها خلط يتضح بعد قراءة هذا البحث وما سيتلوه من بحوث عن دور أسرة جان باتيست روسو في الحياة الثقافية والتجارية والسياسية لمدينة حلب.

لقرأ في مقدمة المترجم ما نصه: (بدأت قصتي مع هذا الكتاب منذ ما يقرب من ثماني سنوات عندما كنت أقوم بتدريس اللغة العربية بجامعة تاجيكستان (طاجكستان) بالاتحاد السوفيتي... وذكرت أن كتاب «مع المخطوطات العربية» هو في رأيي أجمل ما كتب كراتشكوفسكي... وعندما قاربت الانتهاء من ترجمته بعثت برسالة إلى الدكتورة كراتشكوفسكايا زوجة المؤلف الأستاذة بجامعة لينينغراد (سان بطرسبورغ)، وردت عليَّ في ١٣ مايو«أيار» سنة ١٩٦٢م برسالة جاء فيها: «إنني سعيدة جداً بأنكم تقومون بترجمة كتاب مع المخطوطات العربية، وإنني أتمنى أن تواتيني القوة حتى أرى الترجمة مطبوعة باللغة العربية».

وعندما انتهيت من الترجمة كلها رحبت دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية في موسكو بطبعها. وجاء في خطابها لي في ٢٤ سبتمبر«أيلول» ١٩٦٢م أنها قبلت نشر الكتاب وأن نشره سيكون في عام ١٩٦٤م. ونشر الكتاب بعد أن غادرت الاتحاد السوفيتي. وبعدها سافرت إلى إنجلترا وهناك في لندن في ٢٨ يناير«كانون الثاني» ١٩٦٦م تسلمت رسالة رقيقة بالعربية من الأستاذ «باقلوف» رئيس التحرير المسؤول بدار الطبع بموسكو وفيها يقول: (نشكركم جزيل الشكر على ترجمتكم الموفقة لكتاب **«مع المخطوطات العربية»** ونستميح عذراً لتأخرنا في إرسال نسخة منه لكم... وبعدها بأيام وصلتني ثلاث نسخ من الترجمة. وكان فرحي زائداً لأن الترجمة خرجت إلى النور في حياة زوجة المؤلف وبذلك تحققت أمنيتها التي عبرت عنها في خطابها لي. بل كانت فرحتي أشد عندما تصفحت الكتاب فوجدت أنها هي نفسها التي قدمت له. إلا أنني من ناحية أخرى تألمت عندما وجدت أنه ليس هناك أي ذكر لمترجم الكتاب، وأن هناك أخطاء فنية وأسلوبية في الترجمة ربما قللت كثيراً من قيمة العمل نفسه. ومن ثم فإنني الآن وبعد عدة سنوات من صدور الطبعة الأولى في موسكو أقدم الطبعة الثانية في صورة منقحة تتلافى ما في الأولى من مآخذ... وأخيراً فإنني إذ أقدم هذا الكتاب في طبعته الثانية المنقحة إلى قراء العربية فإنني أشعر بثقة كبيرة في تقديرهم لهذا الجهد المتواضع. مصر الجديدة في ٨/٢٨/ ١٩٦٩م).

إذاً تلك هي قصة كتاب «مع المخطوطات العربية» الذي اضطرب الدكتور العطاوي في التعامل معه.

أما القضية الثانية من القضايا المضطربة في كتاب العطاوي فهي ما جاء في الصفحات (٣٣٣-٣٣٦) من كتابه عند الحديث عن المكتبة الملحقة بمعهد الاستشراق في سان بطرسبورغ (المتحف الآسيوي سابقاً). ينقل العطاوي في الصفحات المذكورة نصاً عن كتاب «مع المخطوطات العربية» في أثناء حديثه عن قسم المخطوطات في تلك المكتبة الذي يخزن-كما يقول- مجموعة كبيرة من المخطوطات أكثرها أهمية من قيمتها العلمية هي تلك

التي تنتمي أصلاً إلى المجموعات التي كانت في ملك الخواص أمثال... وخاصة «روسو». ثم يقول بعد ذلك: (... غير أن أهمها على الإطلاق هي مجموعة «روسو» التي كان لها تأثير إيجابي واضح لا في تطور المتحف الآسيوي فحسب، بل في ازدهار الدراسات الاستعرابية في روسيا كلها، وهي المجموعة التي اجتذبت إليها العديد من العلماء العالميين الكبار أمثال «فرين» و «روزن» (في أصل كتاب العطاوي ص ٣٣٤ «دورن» والصواب «روزن، أو روزين» كما يكتبها العطاوي نفسه في الصفحة ٣٣٥) وغيرهما. ولقد تحدث «كراتشكوفسكي» بإسهاب في كتابه «مع المخطوطات العربية» عن تاريخ أسرة «روسو» السويسرية الفرنسية في سورية وعن مجموعة المخطوطات التي اقتناها أفرادها بالتدريج...). ثم ينقل العطاوي ما جاء في كتاب «كراتشكوفسكي» عن أسرة «روسو» دون أن يبين لنا السياق الذي جاءت فيه. لقد تحدث عنهم «كراتشكوفسكي» في سياق حديثه عن مخطوطة ديوان الشاعر الأندلسي «ابن قزمان» فيقول (ص٩٨ من الطبعة الثانية): «وعلى كل حال فما كنا لنعرف الشيء الكثير عن **ابن قزمان** لو لم يخزن هذا المخطوط-الوحيد المعروف حتى الآن- عندنا في المتحف الآسيوي. وكان طريق المخطوط شاقاً. وأخيرا وقع عندنا بفضل بعض المصادفات السعيدة.»(١) وإذا علمنا أن «كراتشكوفسكي» كتب كتابه «مع المخطوطات العربية» كما تقول زوجته في تقديمها لطبعة موسكو من الترجمة العربية (ص٩ من الطبعة الثانية) «في أيام الحرب بصورة رئيسية في موسكو وضواحيها حيث كان المؤلف قد أُجلي إثر مرض عضال أصيب به وقت حصار لينينغراد (سان بطرسبورغ). فمكتبته الخاصة كلها، وجميع المواد الموجودة في مدينة لينينغراد (سان بطرسبورغ) لم تكن تحت متناول المؤلف. وكانت الذاكرة الرائعة هي العون له...». إذا علمنا ذلك، ناهيك عن قلة المعلومات في تلك الأيام، التمسنا لـ«كراتشكوفسكي» العذر فيما كتبه عن أسرة «روسو». أما الدكتور العطاوي الذي ألف كتابه في عام ٢٠٠٢م فإن التماس العذر له في إيراد ما أورده «كراتشكوفسكي» ربما يكون أكثر صعوبة، وقد تسللت إلى نصه بعض الأخطاء المطبعية التي غيرت أسماء الأعلام. وأثبت هنا ما جاء لدى «كراتشكوفسكي» عن «آل روسو»، مشيراً إلى الفروق التي جاءت في نص العطاوي، ثم أعقب بالحديث عن الأسرة حسب المصادر الفرنسية التي تحدثت عن الأسرة بالتفصيل ليتضح الأمر(٢). يقول «كراتشكوفسكي»

---

(١) نشر ديوان ابن قزمان بعنوان: **ديوان ابن قزمان نصاً ولغة وعروضاً**، نشره وترجمه إلى الإسبانية ف. كوريئطي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م في ٩٢٨ صفحة. المعهد الإسباني للدراسات العربية، مدريد.

(٢) جاءت ترجمة روسو في كتاب نجيب العقيقي: «**المستشرقون**» مختصرة إذ قال في ج١، ص١٧٦: روسو (١٧٨٦-١٨٣١م) من قناصل فرنسا في المشرق. آثاره: **رحلة من بغداد إلى حلب** (باريس ١٨٠٨م) **وشؤون الوهابيين** (١٨١٨م)

في كتابه (ط٢، ص٩٨-٩٩): «ففي نهاية القرن السابع عشر وصل من جنيف إلى سورية شخص غير معروف يدعى «روسو» وهو ممثل لعائلة «جان جاك روسو» التي صارت لامعة فيما بعد[١]. وهناك في سورية كان روسو هذا يحيا حياة أفضل مما كان يحياها في وطنه. وقد استطاع بالتدريج أن يجمع بعض الثروة. وعشية الثورة الفرنسية كان ابنه قنصلاً لحكومته في حلب وبغداد. وكان حفيده قد ترعرع في الشرق بثقافته الفرنسية إلا أنه صار فيما بعد نموذجاً حقيقياً لسكان الطرف الشرقي من حوض البحر الأبيض المتوسط. فقد سيطر هذا الحفيد تماماً على اللغة العربية والفارسية والتركية، واكتسب بنفسه وبطريق مباشر انطباعات عن تركيا وإيران حيث كان يقوم بتنفيذ أوامر دبلوماسية وتجارية خاصة بحكومته الفرنسية[٢]. وقد اقتفى الحفيد خطوات أبيه كتاجر رسمي، ووكيل قنصلي، وصار أحسن من أبيه من حيث معارفه واهتمامه العلمي نوعاً ما بتلك البلاد التي عاش فيها. وأقام الحفيد في حلب وقتاً طويلاً. وإقامته في هذه المدينة، وكانت آنذاك «مركزاً ثقافياً» أصيلاً للمنطقة[٣] طورت فيه ذوقاً نحو الأدب وجمع المخطوطات[٤]، وتجمعت لديه بالتدريج مجموعة كبيرة اختيرت بمهارة، (ولم يكن ديوان ابن قزمان المخطوط الفريد الوحيد في هذه المجموعة)[٥].

والخيول العربية. وفي هذا تعميم مضلل واختصار مخل. إذ المقصود هنا هو روسو الابن روسو الابن، وهو جان باتيست-لويس-جاك روسو Jean-Baptiste-Louis-Jacques Rousseau الذي ولد في مدينة «أوكسير» في ١٠ ديسمبر «كانون الأول» عام ١٧٨٠م، وتوفي في طرابلس الغرب ١٨٣١م. أما والده جان فرانسوا كزافييه روسو Jean-François-Xavier Rousseau، دبلوماسي فرنسي، ولد في أصفهان في ١٦ أكتوبر «تشرين الأول» ١٧٣٨ وتوفي في بغداد في ١٢ مايو «أيار» ١٨٠٨م. وليس لروسو الابن كتاب عن شؤون الوهابيين وإنما هي رسالة ملحقة بكتابه «وصف ولاية بغداد». أما عن الخيل فليس له كتاب وإنما هي رسالة صغيرة لا تتجاوز الصفحات الثلاث.

(١) في كتاب العطاوي (ص٣٣٤): «وهكذا نعلم بأن شخصاً يدعى «روسو»، وهو ينحدر من عائلة الفيلسوف الفرنسي «جان جاك روسو» استوطن سورية قادماً إليها من سويسرا...»

(٢) يقول العطاوي (ص٣٣٤): «واستطاع هذا الرجل أن يجمع بعض الثروة بالتدريج، وعشية الثورة الفرنسية شغل ابنه منصب قنصل لفرنسا في حلب وبغداد، وترعرع حفيده الذي كان يمتلك ثقافة فرنسية عالية في هذا الوسط الشرقي، وتمكن من إتقان عدد من اللغات الشرقية كالعربية والتركية والفارسية...».

(٣) في الأصل، ص٩٨: وإقامته...وقد طورت. وهذا خطأ واضح.

(٤) قال الأستاذ محمد قجة في بحثه (صور من العلاقات المتبادلة بين أوروبا وشمال بلاد الشام)، م. س: «وقد نتج عن كتابات الرحالين إلى بلاد الشام الاهتمام بدراسة اللغات الشرقية وبخاصة العربية والفارسية والتركية». كما نتج عنها الاهتمام بالمخطوطات، ونقل أعداد هائلة منها إلى المدن الأوروبية بالشراء أو بالتهريب. ومن أبرز من قام بذلك الإنكليزي تشارلز روبسون الذي رافق الجالية الإنكليزية ١٦٢٤-١٦٣٠ كرجل دين. وقد كوّن مجموعة ثمينة من المخطوطات توجد اليوم في مكتبة «بودليان».

(٥) ما بين قوسين ليس لدى العطاوي.

أما النصف الثاني من حياة الحفيد (فقد كان بعيداً عن الهدوء والراحة. فقد قضاه في طرابلس الغرب. وفي ذلك الوقت)[١] تغيرت ظروفه المادية إلى حد جعله في عام ١٨١٥م يفكر في أن يتخلص من مجموعة مخطوطاته ببيعها. فتوجه إلى الحكومة الفرنسية أول ما توجه يعرض عليها شراء المجموعة. إلا أن عجز الميزانية بعد حروب نابليون لم يمكن الحكومة من الموافقة على المبلغ الكبير (نسبياً)[٢] الذي طلبه صاحب المجموعة (بكل حق)[٣]. وهنا جاء دور سلفستر دوساسي أكبر مستشرق مشهور في عصره، وكان يقدر جيداً قيمة هذه المجموعة فأخبر عنها -بواسطة تلاميذه الذين كانوا أساتذة زائرين في بطرسبورغ- وزير المعارف العمومية[٤] أوفاروف. (كان هذا معروفاً لدى ساسي شخصياً، وصاحباً لمشروع «المجمع العلمي الآسيوي» الذي لقي اهتماماً كبيراً من «غوته»)[٥]. وقد بيعت المجموعة على دفعتين في عام ١٨١٩م وعام ١٨٢٥م[٦]. وحرمت فرنسا من مجموعة قيمة...». إن ذاكرة «كراتشكوفسكي» كانت بلا شك تحمل معلومات مختصرة عن «آل روسو»؛ الأب والابن والحفيد. وقد وجدت من المناسب في تعليقي على كتاب العطاوي أن أقدم ترجمة لما جاء في المصادر الفرنسية عن هذه الأسرة التي يرجع اهتمامي بها إلى أربع سنوات خلت عندما بدأت مشروعي لنشر رحلات الفرنسيين القدامى وكتاباتهم عن الجزيرة العربية على وجه العموم. وقد كان من بين هذه الكتب كتابان لـ«روسو» الحفيد هما: «**وصف ولاية بغداد، مذيل بتعليقة تاريخية عن الوهابيين، وبعض القطع الأخرى المتعلقة بتاريخ الشرق وأدبه»، نشر مع تمهيد كتبه «سلفستر دو ساسي» Silvestere de Sacy، باريس ١٨٠٩م؛ و «التذكرة في الطوائف الثلاث المشهورة في الإسلام: الوهابية، والنصيرية، والإسماعيلية»، مرسيليا وباريس، ١٨١٨م[٧].**

---

(١) جاء لدى العطاوي: أما النصف الثاني من حياة الحفيد فتغيرت فيه ظروفه...

(٢) ما بين قوسين ليس لدى العطاوي.

(٣) ما بين قوسين ليس لدى العطاوي.

(٤) لدى العطاوي (ص٣٣٥): وزير التعليم الشعبي الروسي.

(٥) ما بين قوسين ليس لدى العطاوي.

(٦) ذكر هنري دوهيران Henri Dehérain في بحثه «**رحلة القنصل جوزيف روسو من حلب إلى بغداد في عام ١٨٠٧م**، المنشور في مجلة «سورية SYRIA»، المجلد السادس، ١٩٢٥م، ص١٨٧ أن الدفعة الثانية بيعت عام ١٨٢٤م. وبحث دوهيران ترجمناه وقدمنا له وعلقنا عليه وهو مقبول للنشر في **مجلة** دارة الملك عبد العزيز.

(٧) هذا الكتاب لدينا قيد الترجمة. ولنا عنه بحث بعنوان: **المصادر الفرنسية تبوح بأسرارها، مَنْ مؤلف كتاب: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب؟** مقبول للنشر في مجلة «الدارة». وقد أشار بوركهارت في كتابه: **ملاحظات عن البدو والوهابيين**، ترجمة غاندي المهتار، نشر مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٦١ إلى رسالتين

آل روسو:

كثيرون هم الفرنسيون الذين يحملون هذا الاسم دون أن تكون بينهم أي علاقة قربى، ولكن أشهرهم على الإطلاق هو الأديب والفيلسوف الفرنسي المعروف جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau (١٧١٢-١٧٧٨م).

ولكن «آل روسو» هؤلاء تربطهم علاقة قربى بالفيلسوف المذكور، وقد أسهموا في الحياة الثقافية والدبلوماسية الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر إسهاماً كبيراً جعل منهما من أعلام فرنسا في ذلك الوقت.

- روسو الأب، اسمه جان فرانسو

Jean-François Rousseau

مستشرق وسياسي معروف قضى معظم حياته في الشرق حيث عمل في كل من حلب، وبغداد، والبصرة وكيلاً لشركة الهند الشرقية الفرنسية أولاً، ثم قنصلاً لبلاده في هذه البلدان، وتوفي في حلب بتاريخ ١٢ مايو «أيار» ١٨٠٨م[1]، وقد خلط بينه وبين ابنه «ستيفن هيمسلي لونكريك»[2]، فقال إن كاتب كتاب «وصف ولاية بغداد» كان قنصلاً لفرنسا في البصرة في حدود ١٧٨٠م، وفي بغداد في ١٧٩٦-١٧٩٨م، والمقصود هنا بلا شك هو الوالد الذي توفي كما ذكرنا في عام ١٨٠٨م، وكان حينئذ قنصلاً في حلب فخلفه ابنه في القنصلية في أكتوبر «تشرين الأول» ١٨٠٨م. وقد كان «روسو الأب» على رأس عمله في بغداد عندما زارها «أوليفييه» بين عامي ١٧٩٤-١٧٩٦م، وقال مترجم رحلة «أوليفييه» إلى العراق

لروسو عن الوهابيين، وجاء في حاشية الصفحة أن الرسالة الأولى «**وصف ولاية بغداد**» والأخرى «**مناجم الشرق؟**».
قلت: وفي الكلام تعميم كبير وخطأ في الترجمة: **فوصف ولاية بغداد** مذيل بنبذة عن الوهابيين، و«**مناجم الشرق**» هو اسم مجلة نشر فيها روسو نبذة عن الوهابيين.

(١) انظر بحث: **الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير ١٢١٨-١٢٢٩هـ/١٨٠٣-١٨١٤م، العاصمة والحكومة والسكان كما وردت في تقارير جوزيف روسو القنصل الفرنسي في حلب**، للدكتور محمد آل زلفة، مجلة الدرعية، السنة الأولى، العدد الأول، محرم ١٤١٩هـ/مايو ١٩٩٨م، الحاشية (١)، ص ١٤٥-١٤٦. ونسب الدكتور آل زلفة في الحاشية رقم (٤)، ص١٤٩ من بحثه المذكور كتاب **وصف ولاية بغداد** لروسو الأب، والصواب أنه للابن كما سيرد تبيان ذلك. وقد ترجمنا كتابه: **وصف ولاية بغداد** بتكليف كريم من دارة الملك عبد العزيز وأمينها العام الدكتور فهد بن عبد الله السماري.

(٢) في كتابه **أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث**، ط٢، ترجمة جعفر خياط، العراق ١٩٦٢م، ص٣٥٠-٣٥١. ولم أجد لروسو الأب ترجمة في **معجم لاروس القرن العشرين**، ولم يرد في **فهرس الكتب المطبوعة المحفوظة في المكتبة الوطنية في فرنسا** أي مؤلفات لروسو الأب.

الدكتور «يوسف حبي»: «إن أوليفييه أفاد في رحلته من عدة أشخاص منهم... وكذلك الدبلوماسي الفرنسي في بغداد «روسو» وهو من أسرة الأديب جان جاك روسو، وكان يتولى منصب القائم بالأعمال الفرنسية في بغداد في الفترة ١٧٧٦-١٨٠١م. اسمه الكامل «جان فرانسوا روسو» وله ابن «جان باتيست روسو»، وقد توفي عام ١٨٠٨م فتولى ابنه مهمته قنصلاً عاماً لفرنسا في حلب.»[١]

- روسو الابن، وهو جان باتيست-لويس-جاك روسو

Jean-Baptiste-Louis-Jacques Rousseau

مستشرق ودبلوماسي فرنسي ولد في مدينة «أوكسير»[٢] في ١٠ ديسمبر «كانون الأول» عام ١٧٨٠م، وتوفي في طرابلس الغرب ١٨٣١م؛ ورث عن والده حب الشرق وعلومه، كان يجيد **اللغة الفارسية** و**التركية** إجادة كاملة قراءة وكتابة، فضمه وزير خارجية فرنسا، السيد «تاليران»[٣] Talleyrand إلى العمل الدبلوماسي لأن فرنسا كانت تولي بلاد فارس اهتماماً كبيراً في نزاعها مع بريطانيا، وعينه قنصلاً لرعاية شؤون فرنسا في البصرة في ٢٧ فبراير «شباط» ١٨٠٥م. وأصبح في عام ١٨٠٧م سكرتيراً في الملحقية الفرنسية في طهران، ثم قنصلاً في حلب عام ١٨٠٨م خلفاً لوالده، وقنصلاً في بغداد عام ١٨١٤م، وأخيراً قائماً بالأعمال في طرابلس الغرب حيث توفي هناك. تلك كانت تراجم مختصرة وجدت من المفيد معها أن أقدم للقارئ العربي ما أورده المؤرخ الفرنسي «جوزيف فرانسوا ميشو»[٤] في كتابه

---

(١) **رحلة أوليفييه إلى العراق ١٧٩٤-١٧٩٦م**، ترجمة د. يوسف حبي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٧. ويصفه أوليفييه في الصفحتين ٨٥ و ١٨٢: بأنه وكيل العلاقات التجارية الفرنسي. وينقل مترجم الرحلة في حاشية الصفحة ١١٤ أن الرحالة الإنجليزي جاكسون الذي زار العراق عام ١٧٩٧م قال عن روسو: إنه ينتمي إلى عائلة الأديب الفرنسي المشهور جان جاك روسو، وقد تولى منصب القائم بالأعمال الفرنسي في بغداد في الفترة ١٧٥٩-١٨٠١، ووضع كتاباً مهماً سماه(**وصف ولاية بغداد**) وطبعه بباريس سنة ١٨٠٩م. انظر **رحلة جاكسون إلى العراق**، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٦٢م.

(٢) مدينة تقع جنوب شرق باريس، تبعد عنها ١٧٠كم، معجم لا روس (بالفرنسية) مج ٢، ص٧٤٨.

(٣) تاليران (-بيريغورد)، شارل-موريس دو تايران، أمير بينيفان Charles-Maurice de Talleyrand (-Périgord), Prince de Bénévent : وزير خارجية فرنسا (١٧٩٧-١٨٠٧م)، ولد في باريس سنة ١٧٥٤م، وكان رئيس أساقفة ريمز سنة ١٧٧٧م، توفي عام ١٨٣٨م. انظر معجم لا روس، مج٢١، ص٨٩١٣.

(٤) **التراجم الكونية**Biographie Universelle المجلد ٣٦، ص ٦٢٦-٦٢٩؛ لجوزيف-فرانسوا ميشو Joseph-François Michaud، محقق ومؤرخ فرنسي ولد عام ١٧٦٧م، وتوفي ١٨٣٩م، كان عضواً في الأكاديمية الفرنسية لسنوات عديدة، أشهر كتبه: **تراجم معاصرة ١٨٠٦-١٨٠٧م؛ تاريخ الحروب الصليبية ١٨١١-١٨٢٢م؛ التراجم الكونية، ١٨١١-**

«التراجم الكونية» عن هذه الأسرة التي يبدو أنه كان على اطلاع كبير على مجريات حياتها معلقاً على هذه الترجمة بما يوضحها للقارئ العربي.

يبدأ «ميشو» بترجمة **Jean-François-Xavier Rousseau جان فرانسوا كزافييه روسو** فيقول: دبلوماسي فرنسي، ولد في أصفهان في ١٦ أكتوبر «تشرين الأول» ١٧٣٨. **أما والده جاك روسو Jacques Rousseau، من أقرباء فيلسوف جنيف (يقصد جان جاك روسو)، فقد وُلد في أصفهان، وانتقل إلى فرنسا في عام ١٧٠٣م ليعمل في بيع المجوهرات. وفي عام ١٧٠٥م، رافق السفير الذي أرسله «لويس الرابع عشر» إلى آسيا ليكون سفيراً لدى الشاه «حسين»[١]، ملك فارس، وعاش كل المضايقات والمغامرات التي عانت منها تلك البعثة الدبلوماسية. ولم يصل جاك روسو إلى أصفهان إلا في عام ١٧٠٨م. ولما عُيِّن أولاً جواهرجي ملك فارس، ثم أصبح كبير جواهرجيي العرش الفارسي، اكتسب حظوة كبيرة لدى العاهل الفارسي المذكور، وحافظ على مهنته في عهود كل الأمراء الذين تتابعوا في خضم الثورة التي شهدتها تلك البلاد قبل وبعد أن يغتصب الحكم «نادر شاه»[٢] المشهور.**

وقد كلف بصفته كبير جواهرجيي العرش بتقييم الكنوز، وبصقل الجواهر التي غنمها «نادر شاه» من الهند وتنسيقها. وفي عام ١٧٣٧م تزوج «رين دو ليتوال» Reine de l' Etoile، ابنة أحد التجار من أصل ليوني، ولدت في أصفهان. ولم يرزق منها إلا بولد واحد، هو الذي نترجم له هنا[٣].

تربى «روسو» الصغير في أحضان الرهبان على المبادئ الكاثوليكية، دون أن يعترض على ذلك والده، الذي عاش ومات بروتستنتياً في عام ١٧٥٣م، وله من العمر ٧٤ عاماً. فقد الولد قسماً من ثروته بعد موت أبيه، ولما لم يكن يشعر بالأمان في عهد حكم «أزاد خان» المضطرب والمستبد، فإنه انسحب في عام ١٧٥٤م إلى «بندر عباس»، في حماية البرتغاليين، وقام هناك بعدة صفقات تجارية مربحة. وفي السنة التالية استدْعته أمه إلى

١٨٢٨م، وهو كتاب تراجم متقن، طبعته الثانية ١٨٥٤م في ثلاثين مجلداً. انظر **موسوعة لاروس القرن العشرين، (بالفرنسية)**، مج٤، ص ٨٥٨.

(١) الشاه سلطان حسين بن الشاه سليمان، أحد ملوك الصفويين حكم إيران بين عامي ١١٠٥-١١٣٥هـ.

(٢) كان يسمى طهماز (طهماسب) قلي ثم نادر خان ثم نادر شاه، وهو الذي قضى على السلالة الصفوية في بلاد فارس وغزا العراق مرتين عام ١٧٣٢م وعام ١٧٤٣م، وقد أسهب المؤرخون في وصف طغيانه وهمجية حملاته. وانظر: **سوابق عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر**، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الله محمد المنيف، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٦٦-١٦٧ المتن والهامش.

(٣) هذه ترجمة «روسو الكبير»، جد صاحب كتاب **«وصف ولاية بغداد»** وغيره من الكتب.

أصفهان، حيث نمت ثروته، وأقام شراكة مع أحد الجيورجيين الأغنياء، ثم غادر مسقط رأسه ثانية ليذهب عبْر «**شيراز**» و«**بندر بوشهر**» إلى **البصرة** التي وصلها في عام ١٧٥٦م. والتحق على الفور بخدمة الأمة الفرنسية. وقد جعلته حماسته، ومعرفته الجيدة بالبلاد نافعاً كل النفع لشركة الهند (الفرنسية)، التي وظفته رسمياً، وعينته في عام ١٧٦١م نائباً لرئيس مقرها في البصرة. ولما أقرته الوزارة في وظيفته قام بعدد من الرحلات إلى بغداد، وقدم عدداً من الخدمات المفيدة للقنصل الفرنسي «باليه دو سان-ألبير» Ballyet de St.Albert، أسقف بابل. وفي السنة التالية خصه المقيم الفرنسي «بيردريو» Perdriaux بمهمة السهر على المراسلات البريدية بين بغداد، ومسقط، وبلاد فارس، والهند. وكان «روسو»، ناهيك عن أعماله الرسمية، يقوم بعمليات تجارية ضخمة في مجال الأحجار الكريمة واللؤلؤ على وجه الخصوص، وأكسبته هذه العمليات حظوة كبرى، وخصوصاً لدى الحكومة التركية. وقد استخدم حظوته تلك ليحصل للفرنسيين على مزيد من الميزات، وليحقق مصالحهم على خير وجه؛ وقد وفرت له المعرفة التي حصلها بلغات الشرق كلها تقريباً الوسائل لذلك. وكان وزير البحرية الفرنسية «براسلان»[1] Praslin قد أمر المقيم «بيرو» Pyrault، الذي حل محل «بيردريو» في عام ١٧٦٦م بأن يقيم علاقات تجارية مع كريم-خان، الوصي على عرش فارس. وقام «روسو» المكلف بالمحادثات لإقامة تلك العلاقات برحلتين إلى شيراز عام ١٧٦٨م و ١٧٧٠م. وحمل معه على سبيل التجربة أجواخاً وسلعاً أخرى من الصناعات الفرنسية، فباعها وحقق أرباحاً كبيرة. وعرض على كريم خان، تنفيذاً للمهمة المكلف بها، تحالفاً مع بلاط فرساي؛ ولما كان «كريم خان» غير راض عما يبديه البريطانيون من خيلاء وقع، على الرغم مما كانوا يحيكونه من مؤامرات، معاهدة بالخطوط الأولى تخلى بموجبها عن جزيرة «خارك»[2] للفرنسيين، الذين حصلوا، ناهيك عن ذلك، على عدد من الميزات المهمة. وأرسل عقد ذلك التخلي الرسمي إلى فرساي؛ ولكن حلّ شركة الهند (الفرنسية)، وتراجع التجارة الفرنسية في الشرق حال دون أن تستطيع الحكومة

(١) سيزار غابرييل دوشواسول دوق دو براسلان César-Gaberiel De Choiseul, duc De Praslin، رجل دولة فرنسي ولد ومات في باريس ١٧١٢-١٧٨٥م، تولى وزارة البحرية عام ١٧٦٦م، وقام بأعمال جليلة خلال فترة وزارته حتى أعفي من منصبه عام ١٧٧٠م. **معجم لاروس القرن العشرين**، مج٥، ص٧٦١.

(٢) جاء في كتاب **معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر** (جزائر الخليج) تأليف الشيخ نعمان ابن محمد بن العراقي، تحقيق محمد حميد الله، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، باكستان، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٨٩-٩٠: ومن الجزائر **خارك** جزيرة على أربع فراسخ من جنايا في البحر على طريق البصرة، بينها وبين جزيرة أوال (جزيرة البحرين) مائتا ميل وأربعون ميلاً، وهي ثلاثة أميال في ثلاثة أميال، وبها زروع وأرز كثير، وكروم ونخيل وهي ...حسنة كثيرة الأعشاب خصيبة، وبها عيون ماء كثيرة. وانظر تعليق المحقق في حاشية الصفحة ٩٠-٩١.

الفرنسية السيطرة على «خارك»، ودون أن تقيم فيها مركزاً كان ذا أهمية أدركها الهولنديون والبريطانيون. ولما عاد روسو إلى البصرة في عام ١٧٧٢م، وكان قد فقد منذ عشر سنوات زوجته ووالدته وابنته، تزوج ثانية من «آن ماري ساهيد» Anne-Marie Sahid التي ولدت مثله في بلاد فارس، وكان أبوها مترجماً سابقاً لدى الهولنديين، وجدها «دافيد ساهيد» David Sahid هو الذي أشار إليه «هيربلو»(١) d' Herbelot. وبعد عدة أشهر أُرسل روسو إلى بغداد، فاستعاد مبلغاً كبيراً كان الباشا يدين له به من جراء بيع قسم من الجوخ، وختم بالشمع الأحمر أرشيف المطران القنصل وأمتعته، وكان قد مات بالطاعون عام ١٧٧٣م، ثم عاد «بيرو» في السنة نفسها إلى البصرة وقضى نحبه فيها بالوباء نفسه. وعمد «روسو»، الذي عزف عن التجارة منذ رحلته الأولى إلى شيراز، واكتفى بمنصبه قائماً بأعمال الأمة الفرنسية في بلاد فارس وفي ولاية بغداد، إلى تسديد ديون سلفه، وأغاث المساكين الفرنسيين الذين قدموا من الهند، وأرسل على نفقته أغذية إلى مستعمرة «ماهيه»(٢) Mahé، واستحق لذلك ثناء المجلس الأعلى في «بوند شيري»(٣)، ووزير البحرية. ومنحه البابا «كليمان الرابع عشر»(٤) Clément XIV وسام السعفة الذهبية بمرتبة فارس مكافأة له على الخدمات التي قدمها لبعثة أصفهان وبغداد والبصرة، وعلى الخصوص في دير «الكرمليين» حيث كان

---

(١) بارتلمي دوهيربلو دو مولينفيل Barthélemy DE Herbelot DE Molainville، مستشرق فرنسي ولد ومات في باريس عام ١٦٢٥-١٦٩٥م، أستاذ اللغة السريانية في الكوليج دوفرانس، واشتهر بكتابه **المكتبة الشرقية** Bibliothèque orientale، أو **المعجم الكوني المحتوي عموماً كل ما يخص معارف شعوب الشرق**، وقد أتمه أندريه غالان A. Galland. **معجم لاروس القرن العشرين**، مج٣، ص١٠٠٦.

(٢) ماهيه دولا بوردونيه Bertrand-François Mahé Comte De La Bourdonnais، بحار فرنسي ولد في سان مالو عام ١٦٩٩م ومات في باريس عام ١٧٥٣م، وعمل في شركة الهند الفرنسية، ثم أصبح قبطاناً في عام ١٧٢٤م، وأسهم في السيطرة على ماهيه. وماهيه مدينة هندية على ساحل مليبار (خليج عمان) على الجانب الأيسر، كانت أحد مقرات الفرنسيين في الهند، فتحها ماهيه دولا بوردوني عام ١٧٢٦م، فحمل اسمها، واستولى عليها البريطانيون ثلاث مرات (١٧٦١، ١٧٧٩، ١٧٩٣م) الذين أعادوها مهدمة عام ١٨١٧م. انظر **معجم لاروس القرن العشرين** (بالفرنسية) ج٤، ص ٥٩٨؛ وكتاب **شركة الهند الشرقية البريطانية ودورها في تاريخ الخليج العربي**، د. علي عبد الله فارس، ط. المسار للدراسات والاستشارات والنشر، الشارقة، ١٩٩٧م، ص٧١.

(٣) أول مستعمرة فرنسية في الهند أسسها فرانسوا مارتان François Martin عام ١٦٧٤م على ساحل كروماندل في ولاية مدراس. انظر **كتاب الهند، تاريخها وتقاليدها**، محمد مرسي أبو الليل، مؤسسة سجل العرب بالتعاون مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، الألف كتاب، رقم ٥٤٩، ١٩٦٥م، ص١٧٨-١٧٩؛ وكتاب **شركة الهند الشرقية البريطانية ودورها في تاريخ الخليج العربي**، م. س، ص٦٧-٧٧.

(٤) اسمه جان فكتور أنطوان غانجانيللي Jean-Victor-Antoine Ganganelli، ولد عام ١٧٠٥م وانتخب بابا عام ١٧٦٩م، ومات عام ١٧٧٤م.

الطاعون قد أفنى المقيمين في الدير. ولما قام «صادق خان الزند»(١)، شقيق الوصي على عرش فارس، بالاستيلاء سنة ١٧٧٦م على البصرة بعد حصار دام عدة أشهر استطاع «روسو» بما يتمتع به من حظوة لديه، وبما قدمه له من هدايا، أن يحصل من هذا الأمير على وعد بأن لا يتعرض الفرنسيون لأي إزعاج(٢). ونجا بفضل تدخله أيضاً المتسلم التركي من القتل(٣)، وحصل عدد كبير من السكان على حريتهم. ولكنه لما لم يتلق من الحكومة التي يقوم على خدمتها أي مساعدات أو رسائل وجد أنه لا يستطيع إطالة فترة إقامته في مدينة تتعرض على الدوام لكل أنواع الأوبئة، وحزم أمره في عام ١٧٨٠م على الذهاب إلى فرنسا، ليطالب الحكومة بدفع مستحقاته، وبتعويضه عن الخسائر التي تعرض لها. وفي أثناء توجهه من البصرة إلى بغداد سلبه البدو على الطريق، ومن هناك توجه إلى حلب، ثم إلى الإسكندرونة، ومنها أبحر على متن بارجة ملكية حملته إلى مرسيليا. وبعد حجر صحي استمر بضعة أيام تابع رحلته براً على مراحل قصيرة، وكان هو وزوجته يرتديان الزي الشرقي، وقد وضعت زوجته غلاماً في أوكسير Auxerre. وفي كانون الأول عام ١٧٨٠م استقبله الوزراء استقبالاً لائقاً، واصطحبه المارشال «كاستري»(٤) Castries للمثول بين يدي الملك لويس السادس عشر Louis XVI. وكان ظهوره غير المتوقع في البلاط، واسمه، وعلاقة القربى التي تربطه بروسو المشهور الذي كان عالم الأدب قد فقده منذ زمن غير بعيد، والزي الذي كان هو وزوجته يرتديانه، كل ذلك الحدث غير العادي كان مجال فضول، وموضوعاً للحديث. واستغل «روسو» ذلك وعرض خدماته، وبيَّن الفوائد التي يمكن أن

---

(١) انظر **تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥-١٣٤٣هـ/٨٢٠-١٩٢٥م** لعباس إقبال، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه د. محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٩م، ص٧٣٣.

(٢) وفي سنة ١٧٧٨م كان قنصل فرنسا في البصرة، وكتب إليه من الكويت الكابتن الفرنسي دي بورج الذي كان يحمل رسائل سرية إلى الفرنسيين في كل من «بوند شيري» وجزر «موريسيوش» يطلب منه أن يمده بوسيلة لإكمال رحلته إلى «بوند شيري» وأن يدفع للتاجر الأرمني الذي اقترض منه «دي بورج» مبلغ مائة جنيه استرليني، فرفض روسو تلبية طلبه. انظر **تاريخ الكويت الحديث ١٧٥٠-١٩٦٥م**، ط١، ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٤م، ص٨٦؛ وانظر الصفحة ١٢٢.

(٣) يقصد سليمان آغا الذي كان متسلم البصرة وأسر عند احتلالها، ثم أُطلق سراحه وأصبح باشا بغداد، ولُقِّب بالكبير تمييزاً له «من ابن أخته الذي سمي بالصغير أو القتيل.

(٤) شارل أوجين غابرييل دولا كروا ماركيز دو كاستري Charles-Eugène-Gaberiel de la Croix, marquis de Castries، مارشال ولد في كاستري ١٧٢٧م ومات عام ١٨٠١م، وكان عام ١٧٨٠م عندما اصطحب روسو الأب إلى بلاط لويس السادس عشر وزيراً للبحرية واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٧٨٧م. انظر **معجم لاروس القرن العشرين**، مج٢، ص٢٩.

يحصلها لموطنه في بلاد يعرف أمراءها، ووزراءها، ولغاتها، وعاداتها، وتقاليدها. وفي عام ١٧٨١م خصته الدولة الفرنسية بمكافأة قدرها ١٠٠ ألف فرنك فرنسي، وعُين قنصلاً في البصرة براتب قدره ١٢ ألف ليرة. واتصل خلال إقامته في فرنسا بعدد من العلماء والأدباء، واستقبل عضواً في جمعية المتحف التي يرأسها «كور جيبلان» Court Gébelin. وغادر باريس في الأول من فبراير «شباط» ١٧٨٢م، وبعد أن مر بمالطة، والإسكندرونة وحلب، وصل في ٢١ نوفمبر «تشرين الثاني» ١٧٨٢م إلى بغداد[١]. ودخلها مرتدياً وحاشيته الزي الفرنسي، وكان ذلك أمراً غير مألوفاً، إلا أنه لم يثر مع ذلك أي لغط، ولم يشكُ أحد من ذلك. وكان روسو، الذي بدأ استجابة لطلب الوزير مراسلات مع «حيدر علي خان»[٢] والزعماء المهرة[٣]، قد حصل في ٤ أبريل «نيسان» ١٧٨٣م على إذن بمقابلة «سليمان باشا» والي بغداد، وهو سليمان نفسه الذي كان متسلم البصرة في عام ١٧٧٦م، وحماها من غضب الفرس. وكانت قنصلية بغداد قد ألحقت حينذاك بقنصلية البصرة[٤]. وتلقى «روسو» الذي كان معيناً قنصلاً في البصرة الأمر بالإقامة فيها، وكان في بداية الأمر قد عزم على التوجه إليها عبْر نهر دجلة، ولكن هذه الطريق كانت غير صالحة بسبب تمرد البدو، فأبحر في الفرات، ووصل في نهاية الأمر إلى وجهته في ٩ فبراير «شباط» ١٧٨٤م. وكان أول ما حرص على فعله إعادة شراء المقر الفرنسي، ووضع فيه الأرشيفات، ورفع علم الملك عليه. إن حالة البصرة التي كانت مفتوحة للعرب والفرس، ولم يكن مناخها يناسب صحة «روسو» دفعاه إلى أن يعرض على الوزير نقل مقر القنصلية إلى بغداد. ويبدو أن طلبه لم يصل إلى وجهته، وفي هذه الأثناء، وبعد ذلك بقليل، مرض مرضاً شديداً، وقرر الذهاب لقضاء الصيف في بغداد. واضُطره تمرد بدو الجزيرة إلى العودة إلى البصرة. ثم غادرها من جديد، ووصل في يناير «كانون الثاني» ١٧٨٥م إلى بغداد يرافقه ضابطان من ضباط «تيبو»[٥] صاحب،

---

(١) كان عالم الطبيعية أندريه ميشو André Michaux، وبوشامب Beauchamp، الممثل العام لأسقفية بابل ومراسل الأكاديمية الملكية للعلوم ضمن القافلة التي قادها روسو إلى بغداد عبْر الصحراء. [مؤلف التراجم الكونية].

(٢) لعله والد تيبو صاحب ملك ميسور، وكان وولده على عداوة دائمة مع البريطانيين الذين كانوا حينذاك يبنون إمبراطوريتهم في الهند. انظر ترجمة تيبو صاحب في الحاشية رقم (٣٥).

(٣) في الأصل: mahrates، والذي وجدته Mahrattes أو Maharattes، أو Maharates، وهم شعب من وسط الهند ناضل ضد البريطانيين والفرنسيين والبرتغاليين. معجم لاروس القرن العشرين، مج٤، ص٦٠٠.

(٤) كان دوم ميرودو Dom Miroudot، أسقف بابل، والقنصل العام في بغداد منذ عام ١٧٧٥م قد اعتقد أن عليه أن يترك موقعه ويذهب إلى روما بغير إذن الملك، فأُقيل من منصبه في ٢٩ أغسطس« آب» ١٧٨٣م.[مؤلف التراجم الكونية].

(٥) تيبو صاحب أو تيبو سلطان هو ملك ميسور بالهند منذ ١٧٨٣م وحتى ١٧٩٩م. كان هو ووالده حيدر علي ملك ميسور على عداوة دائمة مع البريطانيين الذين كانوا حينذاك يبنون إمبراطوريتهم في الهند. وقد كان تيبو على صلة طيبة

كانا مكلفين بالإخبار عن وصول سفير هذا الأمير إلى رحاب ملك فرنسا. وبين عامي ١٧٨٥ و ١٧٨٨م كان «روسو» يقيم تارة في البصرة، ولكنه كان أغلب الأوقات في بغداد. لأن البصرة التي كانت تنتقل من أيدي العرب إلى أيدي الترك وبالعكس أصبحت غير صالحة للسكن. وخلال هذه السنوات الثلاث، كان لـ«روسو» مراسلات كثيرة مع الزعماء الأتراك والفرس، ومع إمام مسقط، وعرض عليهم أن يكون لديهم قنصل فرنسي، كما كانت له مراسلات مع رؤساء المنشآت الفرنسية في الهند، وأخيراً مع وزير الملك الذي كان بفضل هذه المراسلات على علم تام بما يجري في الشرق من أمور مهمة؛ مما يضفي على مراسلاته طابعاً مفرطاً من الغرابة. وقد امتدح الوزراء جميعاً الخدمات التي قدمها روسو، ولكن رغبته المستمرة في تفضيل الإقامة في بغداد كانت محل نقاش مع بعض مرؤوسيه، وسببت له بعض المنغصات لدى وزير البحرية(١). فتقدم بإجازة ليذهب إلى فرنسا، ولكن أحداث الثورة منعته من الاستفادة من ذلك. وعلى الرغم من أنه لم يستلم من حكومته أي مراسلات، إلا أنه تابع مع ذلك القيام بواجباته بحماسة، وتابع حرصه على مصالح أبناء جلدته وأمنهم(٢). وفي عام ١٧٩٨م اندلعت الحرب بين الجمهورية الفرنسية والدولة العثمانية بعد الحملة الفرنسية على مصر، وأوقف روسو، وقُيِّد، واقتيد إلى المنفى في ماردين بعد أن أهين وتعرض لأسوأ أنواع المعاملة. ورفض شراء حريته بالتخلي عن انتمائه الفرنسي وإعلان نفسه فارسياً.، وبعد أحد عشر شهراً استعاد حريته، بوساطة «سليمان باشا» [الكبير] على الرغم من مؤامرات البريطانيين. وحزم أمره على العودة إلى فرنسا، إلا أن أخبار الصلح الذي عقد في أميان ١٨٠٢م منعته من تنفيذ ما عزم عليه.

وفي هذه الأثناء عينته حكومة القناصل مقيماً عاماً دبلوماسياً وتجارياً في بغداد، وكان قد غادرها قبل أن يتلقى خطاب تعيينه، وكان عام ١٨٠٣م في حلب التي كان يرغب في البقاء

بالفرنسيين ببوند شيري بالهند، حتى إن حكومة فرنسا منحته لقب مواطن بالجمهورية الفرنسية عام ١٧٩٨م. وفي سنة ١٧٩٩م واجه جيوش بريطانيا ومات في ميدان القتال مدافعاً عن عاصمة ملكه. انظر ترجمته في **دائرة المعارف الإسلامية**.

(١) كان له في هذا الخصوص قرب نهاية عام ١٧٨٧م نقاش طويل مع السيد دوفال Deval، الذي عين نائب القنصل في بغداد. وقد وجه إليه وزير البحرية انتقادات شديدة اللهجة بسبب تغييره محل إقامته دون أن يحصل على إذن بذلك.[مؤلف التراجم الكونية].

(٢) أتاحت له الاضطرابات التي قام بها في عام ١٧٩١م يهود البصرة ضد المسيحيين الفرصة لبذل أقصى جهده، واستخدام موقعه المكين ليمنع عن بعثات التبشير والفرنسيين التعرض لأية مضايقة أو سباب. وفي عام ١٧٩٦م أعلنت القيادة بغداد مكاناً لقنصلية عامة، وأسندت المنصب لروسو، الذي لم يتوقف عن ممارسة مهماته، على الرغم من انقطاع اتصالاته مع الحكومة الفرنسية. **[مؤلف التراجم الكونية]**.

بها لأنه لم يعد يحتمل الإقامة في بغداد. وفي عام ١٨٠٤م كلفه الوزير القيام باتصالات مع الحكومة الفارسية لإعادة التحالف القديم بينها وبين فرنسا. نجح في ذلك «روسو» نجاحاً جزئياً، وهيأ في البلاط الفارسي الظروف لاستقبال بعثة «جوبير» و«روميو»[١] Jaubert et Romieu.

ورافق ولده الذي عيِّن قنصلاً في بغداد هذين السيدين في مهمتهما. أشجاه فراق ولده، وأرهقه اعتلال صحته، فتوفي نتيجة ذلك كله في ١٢ مايو «أيار» ١٨٠٨م. وكان عند وفاته عميد القناصل الفرنسيين في الشرق. وقد رأينا أنه كان يتقن لغات الشرق كله تقريباً، ولكنه كان متميزاً بالتركية والفارسية والأرمنية؛ أما الفرنسية التي تعلمها في أصفهان فإنها كانت غريبة بعض الشيء عنه، فقد كان يخطئ في كتابتها والتحدث بها. وكان يعرف الإيطالية والبرتغالية، الخ. وكان متضلعاً من آداب الشرق، وكان يتمتع بذاكرة قوية وقدرة عالية في البحث. وقد جعلته التجربة التي حصل عليها من إقامته الطويلة في آسيا ذا فائدة عظيمة لكثير من الرحالين مثل«: نيبور»[٢] Niebuhr، و«باجيه»[٣] Pagès، و«ميشو»[١]

---

(١) جوبير، اسمه بيير أميدي إميليان بروب جوبير Pierre-Amédée-Emilien-Probe Jaubert، مستشرق فرنسي ولد عام ١٧٧٩م، ومات عام ١٨٤٧م، من تلامذة سلفِستر دوساسي، اشترك في حملة نابليون على مصر، ثم أصبح أستاذ لغة تركية، وأرسل في عام ١٨٠٥م إلى بلاد فارس لمناقشة اتفاقية تحالف مع الشاه، ولكنه أوقف في الطريق وتعرض للسجن أربعة أشهر، له من الكتب **رحلة إلى أمريكا وبلاد فارس بين ١٨٠٥-١٨٠٨م**، **مبادئ قواعد اللغة التركية**، ١٨٢٨-١٨٣٤م، **جغرافية الإدريسي**، ترجمة من العربية إلى الفرنسية (١٨٣٦-١٨٤٠م). انظر **معجم لاروس القرن العشرين**، (بالفرنسية)، مج٤، ص١٦٠. وروميو، لعله والد أغست روميو Auguste Romieu، إداري وأديب ومسرحي فرنسي ولد ومات في باريس ١٨٠٠-١٨٥٥م وفي ترجمته الواردة في **معجم لاروس القرن العشرين**، مج٦، ص٣٥ أنه كان ابن أحد جنرلات الإمبراطورية الفرنسية. وانظر بحثاً بعنوان: Gardane Mission على موقع Iranica.comm.

(٢) كارستن نيبور رحالة دنماركي، ولد في عام ١٧٣٣م في أقصى شمال ألمانيا، كان ضمن بعثة علمية زارت مصر، وجدة، واليمن، والهند، وتوفي أعضاء البعثة الستة، ولم يبق إلا نيبور الذي عاد إلى بلاده، ثم رجع إلى بلاد العرب وزار عمان وشواطئ الخليج العربي ثم سافر من البصرة عبر سوريا وفلسطين ليصل إلى الدنمرك في عام ١٧٦٧م، وكانت البعثة قد بدأت عام ١٧٦١م. طبعت **رحلته** بالفرنسية في مجلدين في سويسرا، الناشرون المتحدون عام ١٧٨٠م، كما نشر له بالفرنسية كتاب بعنوان: **وصف الجزيرة العربية** في عام ١٧٧٤م في أمستردام. توفي نيبور في السادس والعشرين من نيسان عام ١٨١٥م، وعمره اثنان وثمانون عاماً. انظر كتاب **من كوبنهاجن إلى صنعاء**، توركيل هانسن، ترجمة محمد أحمد الرعدي، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

(٣) بيير-ماري-فرانسوا فيكونت دو باجيه، رحالة فرنسي ولد في مدينة تولوز عام ١٧٤٠م، وتوفي في سانت-دومنغو عام ١٧٩٢م. انخرط في البحرية الفرنسية عام ١٧٥٧م، وفي عام ١٧٦٧ رست سفينته في سانت-دومنغو بلا ترخيص. ثم انطلق بعد ذلك إلى لويزانا ثم إلى المكسيك، ومن هناك أبحر نحو الفلبين. وقضى خمسة أشهر في الهند قبل أن يصل إلى البصرة. ويبدو أنه التقى روسو الأب هناك. أقام مع الدروز في الجبال ثلاثة أشهر وانطلق من صيدا ووصل إلى مرسيليا

Michaux، و«بوشامب»(٢) Beauchamp، و«أوليفييه»(٣) Olivier، الخ. وقد أشادوا جميعاً بمواهبه، وبحماسته؛ لكي تنجح مشاريعهم العلمية، وبالنصائح التي أسداها إليهم. ولم يشكُ منه إلا «فيريير-سوفبوف»(٤) Ferrière-Sauvebeuf.

ألف روسو عدداً من الكتيبات عن تجارة الخليج الفارسي والبصرة، وعن الطاعون في هذه المدينة، وعن استيلاء الفرس عليها.، وعن ثورات الفرس، وعن الوهابيين، الخ. ونشر ولده عام ١٨١٠م مقالة بعنوان: تقريظ تاريخي للراحل جان فرانسوا كزافييه روسو، قنصل فرنسا السابق في بغداد والبصرة، وذكر فيها سبعة عشر كتاباً من كتبه الأخرى التي ظلت مخطوطة مثل: وصف بلاد بني كعب في خوزستان؛ تاريخ الأفغان؛ تاريخ الوجود الهولندي في جزيرة خارك ووصف تلك الجزيرة؛ ترجمة تاريخ نادر شاه (لم ينهه)؛ مصطلحات فرنسية وعربية وتركية وفارسية وأرمنية؛ بحث عن الأحجار الكريمة؛ السيف

في عان ١٧٧١م. أشهر كتبه رحلته حول العالم ونحو القطبين براً وبحراً في أعوام ١٧٦٧، ١٧٦٨، ١٧٦٩، ١٧٧٠، ١٧٧١، ١٧٧٣، ١٧٧٤، ١٧٧٦م، باريس: موتارد ١٧٨٢م، مجلدان. ونشر نوم بروك Nume Broc رحلته حول العالم بين عامي ١٧٦٧-١٧٧١م، باريس، المطبعة الوطنية ١٩٩١م. انظر ترجمته في معجم البحارة الفرنسيين (بالفرنسية) بالفرنسية، تأليف إيتين تيميت Etienne Taillemite، طبعة جديدة معدلة ومزيدة، باريس Tallandier تالانديي، ٢٠٠٢م؛ وفي التراجم الكونية لميشو (بالفرنسية)، م. س، ج٣١، ص ٦١٢، وتاريخ ولادته ووفاته فيه مغلوطان.[المترجم].

(١) أندريه ميشو André Michaux، عالم نبات ورحالة فرنسي ولد عام ١٧٤٦م، ومات في مدغشقر في عام ١٨٠٣م، كان ضمن البعثة التي قادها روسو إلى بلاد فارس مع بوشامب الآتية ترجمته في الحاشية التالية، وانظر ما سبق في الحاشية (١٥).

(٢) بوشامب Abbé Joseph de Beauchamps رحالة فرنسي زار العراق عام ١٧٨٣م وأسهب في وصف مدينة بغداد، ونشر مشاهداته تحت عنوان: **مشاهدات في آسيا** Observations faites en Asie في عدد شهري يونيو ويوليو«حزيران وتموز» ١٧٨٤م في **مجلة العلماء** Journal de Savants الباريسية. انظر **رحلة أوليفييه إلى العراق**، ص٧٣.

(٣) غيوم أنطوان أوليفييه G. A. Olivier، ولد في مدينة أرك Arcs الفرنسية قرب طولون سنة ١٧٥٦م وتوفي في ليون ١٨١٤م. له رحلة إلى العراق، وكان ضمن الوفد الذي أرسلته الحكومة الفرنسية إلى شاه فارس، كان ملماً بالعربية، وطبيباً تمكن من معالجة سليمان الكبير باشا بغداد. انظر **رحلة أوليفييه إلى العراق ١٧٩٤-١٧٩٦م**، المقدمة.

(٤) لويس فرانسوا كونت دو فيريير سوفبوف Louis-François, Comte de Ferrière-Sauvebeuf، رجل سياسة فرنسي، ولد عام ١٧٦٢م واغتيل في ١٨٤١م. ترك الجيش لأداء مهمات دبلوماسية في الشرق بين عامي ١٧٨٢-١٧٨٩م، ترك لنا كتاباً بعنوان: **مذكرات تاريخية وجغرافية لرحلات الكونت دو فيريير سوفبوف إلى تركيا وبلاد فارس والجزيرة العربية منذ عام ١٧٨٢م إلى ١٧٨٩م**، طبع في عام ١٧٩٠ في مجلدين. انظر **معجم لاروس القرن العشرين** (بالفرنسية)، ج٣، ص٤٥٨.

والقلم؛ وهو مجموع عن الذوق الفارسي؛ فانتازيا أحد الرحالة؛ هوامش وملاحظات بعدة لغات؛ روائع راسين، ترجمها إلى الأرمنية؛ الخ[1].

- جان باتيست لويس جاك روسو[2]

J ean-Baptiste-Louis-Jacques Rousseau.

مستشرق، ودبلوماسي فرنسي، ابن جان فرانسوا، ولد عام ١٧٨٠م قرب مدينة «أوكسير» في أثناء رحلة كان والداه يقومان بها إلى باريس. وتعمد في باريس، ولم يكن قد بلغ الثانية عشرة من عمره عندما عين والده قنصلاً لفرنسا في البصرة، فحمله معه. وفي البصرة تلقى روسو الصغير تعليمه الأولي، وتركزت دراسته على لغات الشرق. وفي عام ١٧٩٨م عاش كل المصائب التي حلت بأسرته التي أوقفت وأهينت إثر الحرب التي اندلعت بين فرنسا والدولة العثمانية بعد الغزو الفرنسي لمصر. ولكنه استعاد حريته مع أسرته في عام ١٨٠٢م وعين هو نفسه قنصلاً لفرنسا في البصرة في عام ١٨٠٥م، وبعد سنتين عين سكرتيراً للسفارة الفرنسية في طهران، وفي عام ١٨٠٨م قنصلاً عاماً في حلب، وفي عام ١٨١٤م قنصلاً عاماً في بغداد، وعُين في نهاية الأمر في السابع عشر من ديسمبر «كانون الأول» ١٨٢٤م قنصلاً عاماً وقائماً بالأعمال في طرابلس الغرب. وفي عام ١٨٢٦م، وبعد مناقشة حادة مع «باي» تلك المقاطعة، قام بنزع العلم الفرنسي من على منزله والتجأ إلى سفينة حربية فرنسية كانت تبحر في عرض البحر. وأدى هذا الموقف الحازم إلى زرع الخوف في نفس ذلك الأمير المسلم الذي اعترف بخطئه، وتوسل إلى القنصل ليعود إلى مقره مظهراً له كل التبجيل والاحترام. وشاع في فرنسا في هذه الأثناء خبر موت «روسو»، وصدقت وزارة الخارجية نفسها هذه الإشاعة، فلم تكتف بتعيين السيد «ميشان» Méchin خلفاً له، بل إن قنصل فرنسا في قبرص كلف السيد «فاتييه» Vattier نائب القنصل بالذهاب مؤقتاً للقيام بمهمات «روسو». ولنا أن نتخيل دهشة «روسو» عندما رأى السيد «فاتييه» يصل ليحل محله وهو على قيد الحياة. ولعل أكثر ما يثير الدهشة فيما حدث من لبس هو أن «فاتييه» لم يشأ التراجع عما كلف به، واستقر بالقوة في مقر القنصلية، وكان ينبغي على «روسو» أن يكتب لوزير فرنسا ليقنعه بأنه ما زال على قيد الحياة، ولكي يقره هذا الأخير في منصبه الذي لم ينعم به طويلاً، لأنه توفي حقيقة هذه المرة بعد ثلاث سنوات في عام ١٨٣١م، بعد أن أتيح له أن يقرأ في عام ١٨٢٨م ترجمة تأبينية نشرت في مجلة «الأسفار»، وقرئت في

---

(١) هذه الكتب ظلت كما يشير «ميشو» مخطوطة ولم يطبع منها شيء.

(٢) ترجم له معجم لاروس القرن العشرين (بالفرنسية)، ج٦، ص٦٩.

الجمعية الجغرافية التي كان أحد أعضائها المراسلين. وكان أيضاً عضواً من الدرجة الثالثة في المعهد الذي يسمى اليوم أكاديمية النقوش والآداب، وعضواً في معهد مرسيليا، وفي الجمعية الآسيوية.

له من الكتب: **وصف ولاية بغداد، مذيل بتعليقة تاريخية عن الوهابيين، وبعض القطع الأخرى المتعلقة بتاريخ الشرق وأدبه، نشر مع تمهيد كتبه سلفستر دو ساسي Silvestere de Sacy، باريس ١٨٠٩م؛ وله أيضاً إطراء تاريخي لجان فرانسوا- إكزافييه روسو (والده) قنصل عام سابق، الخ، ١٨١٠م؛ قطعة من رحلة في بلاد فارس عبْر بغداد، باريس، ١٨١٣م؛ مختارات تاريخية وأدبية شرقية، باريس ١٨١٧م؛ التذكرة في الطوائف الثلاث المشهورة في الإسلام: الوهابية، والنصيرية، والإسماعيلية، مرسيليا وباريس، ١٨١٨م؛ نبذة تاريخية عن بلاد فارس القديمة والحديثة وعن الشعوب التي تقطنها عموماً، يتلوها عدد من الخرائط المتعلقة بالجغرافية والتسلسل التاريخي للإمبراطوريات السبع، مرسيليا ١٨١٨م**[1].

---

(١) قال الدكتور عويضة بن متيريك الجهني في بحثه: **كتاب موجز لتاريخ الوهابي للسير هارفرد جونز بريدجز**، المنشور في مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد السابع، السنة الرابعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص١٢٩-١٣٠، و١٣٨: «من أبرز الكتاب الأوروبيين الذين نقلوا أخبار الدعوة الإصلاحية بشيء من التفصيل إلى أوروبا السيد جان باتيست روسو الذي شغل منصب القنصل العام الفرنسي في بغداد ثم في حلب، والذي نشر كتابه **ملاحظات تاريخية على الوهابيين** في عام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ) ثم أعاد نشره ملحقاً بكتابه الآخر «**وصف باشوية بغداد**» في باريس عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ). ...بل إن السيد روسو صور الدعوة الإصلاحية بأنها حركة مناهضة للإسلام وخارجة عن العقائد الدينية، وشبهها بحركة القرامطة، مردداً بذلك الاتهامات التي كان العثمانيون وولاتهم ينسبونها لأهل الدعوة. ولا بد أن السير بريدجز قد قرأ هذه المؤلفات الفرنسية لأنه وجه انتقاداً لاذعاً إلى السيد روسو بسبب الأخطاء الفادحة التي وردت في مؤلفاته. وأحال الدكتور الجهني إلى كتاب كيلي، **بريطانيا والخليج العربي** في نصه الإنجليزي، ص٤٨-٤٩، وإلى كتاب بريدجز في نصه الإنجليزي أيضاً، ص ١٠٩ و ١١٢؛ وقال: وقد عدل روسو من بعض آرائه في عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) حين نشر مقالته: **وصف الأقاليم التي يسيطر عليها الأمير سعود، الأمير الحالي للوهابيين**.

قلت: وفي الكلام خلط بين روسو وكورانسيه لأن ناشر النبذة عن الوهابيين عام ١٨٠٤م هو كورانسيه نشرها في صحيفة «**المونيتور**» ثم جاء روسو ونشر نبذة عن الوهابيين في تالي كتابه **وصف ولاية بغداد** عام ١٨٠٩م فاتهمه كورانسيه بأنه سطا على ما كان نشره من قبل، ثم ظهر كتاب كورانسيه **تاريخ الوهابيين منذ النشأة حتى عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)** في عام ١٨١٠م في باريس. أما ما ذكره عن تعديل روسو بعض آرائه في مقالة نشرها عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) فقد كان ذلك في **المجلة الموسوعية** كما يذكر ذلك روسو نفسه في مقدمته لكتابه عن **أشهر ثلاث طوائف إسلامية** المطبوع عام ١٨١٨م، وتضمن عدداً من التقارير التي سبق لروسو أن نشرها في أماكن أخرى. وروسو لم ينشر كتابه «**وصف ولاية بغداد**»، وإنما نشره سلفستر دوساسي.

كان روسو قد بدأ بوضع معجم بعنوان: **الموسوعة الشرقية**، وكان سيحتوي تاريخ مختلف شعوب الشرق وأساطيرها وجغرافية بلادها، وآدابها، ولكنه مات دون أن يكمله. **وكان السيد أوفاروف Ouvaroff قد اشترى منه للمكتبة القيصرية في سان بطرسبورغ، خمسمائة مخطوطة شرقية، نشر لها فهرساً في عام ١٨١٨م[1].**

إذاً «آل روسو» هم ثلاثة:

-**أولهما**، جاك روسو، ولد في أصفهان عام ١٦٧٩م وتوفي فيها عام ١٧٥٣م وله من العمر ٧٤ عاماً وكان تاجراً يعمل في تجارة الجواهر والأقمشة وغير ذلك.

-**وثانيهما**، جان فرانسوا كزافييه، ولد في أصفهان في ١٦ أكتوبر «تشرين الأول» ١٧٣٨م، وتزوج للمرة الثانية في البصرة عام ١٧٧٢م، وعاد في عام ١٧٨٠م إلى باريس وفي الطريق إليها ولدت زوجته في مدينة «أوكسير» قرب باريس غلاماً في ديسمبر «كانون الأول» عام ١٧٨٠م. وعين عام ١٧٨١م قنصلاً في البصرة، وغادر باريس في عام ١٧٨٢م، وكان عام ١٨٠٣م في حلب وتوفي فيها في ١٢ مايو «أيار» عام ١٨٠٣م.

وثالثهما، جان باتيست لويس جاك روسو، ولد قرب مدينة «أوكسير» عام ١٧٨٠م. عين قنصلاً في البصرة عام ١٨٠٥م، وفي عام ١٨٠٧م سكرتيراً للسفارة الفرنسية في طهران. وخلف أباه قنصلاً عاماً في حلب عام ١٨٠٨م، وفي عام ١٨١٤م قنصلاً عاماً في بغداد، وفي ١٧ «ديسمبر» كانون الأول عام ١٨٢٤م قنصلاً عاماً في طرابلس الغرب حيث توفي عام ١٨٣١م. ومنه اشترى[2] السيد أوفاروف ٥٠٠ مخطوطة للمكتبة القيصرية في سان بطرسبورغ، نشر لها فهرساً في عام ١٨١٨م[3].

---

(١) أحال الدكتور آل زلفة في ص١٤٦ من بحثه المشار إليه أعلاه إلى بحث (بالفرنسية) لهنري دوهيران Henri Dehérain، بعنوان: **رحلة القنصل جوزيف روسو من حلب إلى بغداد في عام ١٨٠٧م**، المنشور في **مجلة سورية SYRIA**، مجلة الفن الشرقي وعلم الآثار، الصادرة في باريس عام ١٩٢٥م، المجلد ٦، ص ١٧٤-١٨٧. وفي هذا البحث معلومات غزيرة عن «روسو» الحفيد ورحلته وعلاقته بضابط المدفعية الفرنسي «جان ريمون» الذي كان يخدم في جيش باشا بغداد، وكتب عدداً من التقارير عن الدعوة الوهابية، منها ما أعطاه لروسو الحفيد، ومنها ما أرسله إلى باريس، ونشرت في كتاب ترجمناه وراجعه الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، ونشرته دارة الملك عبد العزيز في الرياض بعنوان: **التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم**، كتاب الدارة رقم (٥)، ١٤٢٤م. وترجمنا أيضاً بحث دوهيران المذكور ونشر في مجلة دارة الملك عبد العزيز، ع٣، س٣٢، ١٤٢٧هـ، ص٢٠١-٢٢٨.

(٢) وانظر حول بيع المخطوطات هذا كتاب هنري دوهيران، **سلفستر دوساسي ومراسلوه**، باريس ١٩١٩م، ص١٣-١٥ (بالفرنسية).

(٣) في ثبت مصادر العطاوي الفرنسية والإنجليزية (ص٤١٢) أن «روسو» نشر هذا الفهرس في باريس عام ١٨١٧م. بعنوان: «فهرس مجموعة من ٥٠٠ مخطوطة شرقية». وقد أعد «روزين» بالفرنسية فهرسين للمخطوطات العربية في سان

وأورد فيما يلي ترجمة للنبذة التي نُشرت في المجلة الآسيوية عن الملاحظات التي تناولت **بيع المخطوطات لمكتبة المتحف الآسيوي للأكاديمية الملكية للعلوم في مدينة سان بطرسبورغ، ونشر هذه النبذة مترجمة يوضح أن «روسو» باع للحكومة الروسية مجموعتين من المخطوطات الأولى عددها ٥٠٠ مخطوطة، والثانية ٢٠٠ مخطوطة**(١):

(لقد اقتنى جلالة القيصر الروسي منذ وقت قليل مجموعة تقارب مئتي مخطوطة فارسية وتركية وعربية جمعها السيد روسو. والسيد روسو هو اليوم قنصل فرنسا العام والقائم بأعمال الملك لدى إدارة منطقة طرابلس الغرب. وقد كان لعشر سنوات خلت قنصلاً عاماً لفرنسا في بغداد. وباع لروسيا مجموعة أكثر أهمية من هذه لأن عددها وصل إلى ٥٠٠ مخطوطة تقريباً. وهناك فهرس مطبوع لهذه المجموعة الأولى، وقد طبع ذلك الفهرس السيد روسو، وأرسله إلى مراكز حفظ المخطوطات الشرقية كلها، وإلى البلاطات والجامعات

بطرسبورغ عام ١٨٧٧م؛ وآخر بعنوان: **هوامش أولية عن المخطوطات العربية في المتحف الآسيوي في سان بطرسبورغ**، عام ١٨٨١م. ويشير «كراتشكوفسكي» في كتابه (ص٩٩-١٠٠) إلى أن أول أعمال «روزن» وضع خطة لطبع الفهارس العلمية للمخطوطات العربية بالمتحف الآسيوي. وكتب هذا الفهرس بالفرنسية، وبطريقة ممتعة هي من خصائص «روزن» الملازمة له. وبفضل هذا الفهرس سرعان ما أصبح بين أيدي الباحثين ٣٠٠ مخطوط، تشتمل بصفة أساسية على مجموعات «روسو» التي كانت تضم كثيراً من الكتب النادرة.

وجاء في كتاب: **تاريخ الاستشراق والدراسات العربية والكردية في المتحف الآسيوي ومعهد الدراسات الشرقية في لينينغراد ١٨١٨-١٨٦٨م**، ألفه باللغة الروسية مجموعة من المستشرقين السوفييت، ترجمه وعلق عليه وقدم له د. معروف خزنه دار، مطبوعات جامعة بغداد، بغداد ١٩٨٠م، ص ١٤٦ ذكر للفهرس الذي أعده روسو، وذُكِر في الكتاب أن المخطوطات بيعت بمبلغ ٣٦ ألف فرنك، (قارن بما سيأتي في الحاشية ٥٤ من هذا البحث). وأشير في الكتاب إلى بحث لهنري دوهيران عن صاحب المجموعة بعنوان: **القنصل المستشرق جوزيف روسو**، نشرت على ثلاثة أقسام في «Journal des savants=**مجلة العلماء**» ١٩٣٥م، نوفمبر-ديسمبر «تشرين الثاني-كانون الأول»، ص ٢٦٨-٢٧٤؛ ١٩٣٦م، يناير-فبراير «كانون الثاني-شباط» ص ٢٦-٣٥؛ مارس-أبريل«آذار-نيسان»، ص ٧٢-٨٢.

H. Dehérain, Le consul orientaliste Joseph Rousseau, «Journal des savants», ١٩٣٥, Novembere-Decembere, ٢٦٨-٢٧٤; ١٩٣٦, Janvier-Fevrier, ٢٦-٣٥; Mars-Avril, ٧٢-٨٢.

وهناك مقالة انتقادية غير منشورة لهذا العمل بقلم كراتشكوفسكي في **أرشيف المستشرقين في معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوفياتية، فرع لينينغراد، القسم ١، القائمة ٨، الرقم ٨٦**. وانظر في شأن روسو كتاب: **تاريخ الاستشراق**... المشار إليه أعلاه، ص٣٠، ١٤٦، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٧.

(١) نُشرت النبذة في المجلة الآسيوية، الإصدار الأول، المجلد السادس، شهر مايو«أيار» عام ١٨٢٥م، ص٣١٧-٣١٩ بعنوان: **ملاحظات غير لائقة حول شراء القيصر الروسي مخطوطات روسو الشرقية.**

Notes inconvenantes sur l'achat de ses manuscrits orientaux par l'empreur de Russie,
-٣١٩,٣١٧, p. ٢٥ JA., série ١, t. VI, ١٨

ويصحح ما في كتاب **تاريخ الاستشراق**... المشار إليه في الحاشية السابقة من توثيق ببليوغرافي مضلل حول هذه الملاحظات.

الأجنبية ليحصل عن طريق المنافسة على أعلى سعر ممكن. وقد اشترى تلك المجموعة جلالة قيصر روسيا بمبلغ قدره ٣٠ ألف فرنك. وهي اليوم محفوظة في المتحف الآسيوي للأكاديمية الملكية للعلوم في مدينة سان بطرسبورغ. وإنه لمن المشروع أن نشعر بالأسف لأن المجموعة الأولى لم تبق في فرنسا، ولكنه لم يكن بالإمكان في الزمن الذي عرضت فيه للبيع أن نأمل بأن تقوم الحكومة الفرنسية باقتنائها. لذلك كانت دهشتنا عظيمة عندما قرأنا في فهرس الكتب المطبوعة والمخطوطة في مكتبة الراحل لانغليه[١] M. Langlès ملاحظة دونها على مجلد جمع فيه فهارس المجموعات المختلفة للسيد روسو (رقم ٤٠٤٧ من فهرس المكتبة المذكورة). ويستنتج من تلك الملاحظة أن الشخص الذي كان وسيط السيد روسو في بيع تلك المخطوطات لروسيا كان يرمي إلى حرمان فرنسا من هذا الكنز الأدبي، وإلى إخراجه إلى بلد أجنبي[٢]. إن هذا الافتراض عبثي؛ لأنه إذا كان السيد لانغليه يعتقد أن باستطاعته الحصول من الحكومة على الأموال اللازمة لاقتناء تلك المجموعة فقد كان ينبغي أن يرتب الأمر مع مالك تلك المجموعة الذي كان سيسارع إلى إعطائه الأفضلية خصوصاً لو عرضت عليه بعض الزيادة ولو كانت بسيطة. لأن فهرس تلك المجموعة كان قد طبع واستلمه السيد لانغليه، ولم يكن يجهل أنه ستكون هناك منافسة؛ ولما عرضت روسيا، بعد رفض السيد لانغليه، ٣٠ ألف فرنك[٣]، وليس ٣٣ كما يقول السيد لانغليه في الملاحظة المذكورة فقد كان من غير اللائق أن يبيع روسو تلك المجموعة لمقتنٍ آخر بالسعر نفسه. ولست أدري في نهاية الأمر لماذا لهجت الألسن بملاحظة هي على جانب كبير من السخف، وكان ينبغي أن تصبح طي النسيان.

ليس للمجموعة الثانية التي هي محط الاهتمام اليوم قيمة المجموعة الأولى، وليس لمحتوياتها من الكتب المختارة الأهمية التي كانت لكتب المجموعة الأولى، ولكنها مع ذلك تضم عدداً من الكتب الثمينة مثل: **مقدمة ابن خلدون؛ وتاريخ عرب إسبانيا لأحمد المقّري؛ والبرق اليماني أو تاريخ استيلاء العثمانيين على اليمن السعيد، وتاريخ العالم لأحمد**

---

(١) هو: لويس-ماتيو لانغليه Louis-Mathieu Langlès، ولد في بيرن Pérenne ضمن منطقة الواز Oise عام ١٧٦٣م، ومات في باريس عام ١٨٢٤م، كان مهتماً بالثقافة الشرقية، فدرس اللغات الشرقية، وكان ضابطاً في محكمة جنرالات فرنسا، وأحد الذين روجوا لإنشاء مدرسة اللغات الشرقية في باريس عام ١٧٩٥م، والجمعية الجغرافية. اهتم باللغات التترية والصينية، وكان له اهتمامات جغرافية. انظر: **معجم لاروس القرن العشرين** (بالفرنسية)، ج٤.

(٢) يقول السيد لانغليه: إن هذا البيع حصل دون علمي، ودون أن أُمكَّن من إعطاء الأفضلية لمكتبة الملك في حالة تمكنت من توفير الثمن نفسه الذي عرضته روسيا.[هامش في **المجلة الآسيوية**].

(٣) قارن بما ذكرناه في الحاشية رقم (٥٢) من هذا البحث نقلاً عن كتاب: **تاريخ الاستشراق...**، م. س، من أن المخطوطات بيعت بـ ٣٦ ألف فرنك.

الدمشقي؛ وترجمة عربية لتاريخ اليهود ليوسف بن غوريون، وتاريخ السلطان نور الدين، إلخ. كما تضم المجموعة عدداً من **دواوين** أشهر الشعراء العرب، وعلى أغلبها شروح متميزة؛ و كتباً في النحو والبلاغة، وعدة نسخ من **مقامات الحريري، وشرح الشريشي** لها؛ **وشرح ابن نباتة على رسالة ابن زيدون**، وهو شرح نرجو أن يجد طريقه إلى النشر؛ وتضم أيضاً كتاباً غريباً **للحريري جمع فيه اللحن الذي طال الفصحى** في عصره؛ وكتاباً **في الطب لابن البيطار**، إلخ. إلخ. وتضم المجموعة عدداً من المخطوطات الـم٣ تميزت بجمال خطوطها.

لقد كان بلا شك من الصعوبة بمكان الحصول من الوزير الفرنسي في عام ١٨١٥م على المال اللازم لشراء هذه المجموعة التي كانت ستثري مكتبة الملك، وربما كان الأمر أسهل في عام ١٨٢٣م، بيد أن السيد لانغليه، الذي أصر على اختيار عدد بسيط من كتب المجموعة، ولم يقدم سعراً يغري المالك فيوافق على التقليل من قيمة مجموعته ببيع أفضل الكتب فيها، دفع السيد روسو إلى عرض مجموعته على حكومة النمسا، وعلى حكومة بروسيا، وعلى روسيا، وعلى جامعة غوتنجن. ثم اقتناها القيصر الروسي بمبلغ ١٥ ألف فرنك. إذاً ستذهب تلك المخطوطات إلى المتحف الآسيوي في مدينة سان بطرسبورغ، وهي لن تظل بلا فائدة في إمبراطورية تطورت فيها دراسة الآداب الشرقية منذ بضع سنوات تطوراً كبيراً).

وفي الختام أقول: إن ما ذكرته لا ينفي الجهد الكبير الذي بذله الدكتور العطاوي في تأليف كتابه عن المصادر الأصلية في كثير من الأحيان، ولا يغض من العلم الغزير الذي احتواه الكتاب الذي يعد أشمل كتابة علمية عن الاستشراق الروسي الذي ما زال يحتاج التراث الذي أبدعه أبناؤه إلى جهد كبير لينقل إلى العربية، ومن أراد دليل ذلك فلينظر في قائمة المصادر والمراجع باللغة الروسية التي جاءت في آخر كتاب الدكتور العطاوي الذي نرجو أن يقدم للمكتبة العربية المزيد من الدراسات والترجمات عن الاستشراق الروسي. والله أعلم.